القيم الأخلاقية في القصص القرآني ـ سورة يوسف أنموذجا

أ . سامي المبروك فرج باشا *
جامعة الزنتان
Samyalmbrwk293@gmail.com
تاريخ الاستلام 12/ 5/ 2025م تاريخ القبول 6 / 11 / 2025

Moral Values in the Stories of the Quran: Surah Yusuf as an ExampleA.

Sami Al-Mubarak Faraj PashaUniversity of Zintan
Samyalmbrwk293@gmail.com

Abstract:
The Qur'an story attracted the attention of researchers who saw in it good presentation, strong influence, research into the Holy Qur'an, contemplation of its meanings, and tasting of the beauty in the Qur'an system with the images. It presents to us that allow the soul the opportunity to elevate thoughts and feelings to the holiness of the noble message of the Qur'an, so that these stories guide believers to the right path, and the right path. The upright one, God Almighty says: (We relate to you, [O Muhammad], the best of stories in what we have revealed to you of this Qur'an although you were, before it, among the unaware)[Joseph: 3]. Therefore, studies and research have abounded that seek to study the Qur'an stories to highlight the critical rules and standards in the moral and aesthetic values of the Qur'an story that can be exploited to establish an Islamic critical vision based on Based on the distinct characteristics of the stories of the Qur'an.
The story of Joseph has its peculiarity in that it includes an entire surah that presents to us the life of its hero with secondary heroes who move with him. Perhaps allocating an entire surah to one paste reveals the connotations it contains that should be paid attention to because of the extremely exciting situations it contains that relate to the most important human motives, which is a motive. Instinctive uncontrollability, hatred, envy, injustice, and aggression, and all of this appears in the form of stories full of types of aesthetic excitement. Qur'an aesthetics is the science of Qur'an aesthetics, which means revealing praiseworthy values and reprehensible values through multiple Qur'an topics. More precisely, the story has brought scenes of this world and the afterlife in a miraculous style and aesthetic images with literary depiction. It is precise with the mention of the virtues contained in the Surah, which are the virtue of chastity and lowering one's

حقوق النشر © للمؤلف/للمؤلفين 2025. ينشر هذا البحث بموجب رخصة المشاع الإبداعي Creative Commons (CC BY-NC 4.0)

gaze, the virtue of forgiveness and generosity, the virtue of mercy and patience, being tested in times of adversity, and other virtues.
Keywords: Joseph, reason for revelation, injury, objectives

الملخـــــــــــص:

لفتت القصة القرآنية أنظار الباحثين الذين رؤوا فيها حسن العرض وقوة التأثير والبحث في القرآن الكريم والتدبر في معانيه وتذوق الجمال في النسق القرآني بما يقدمه لنا من صور تتيح للنفس فرصة السمو بالأفكار والمشاعر إلى قداسة الرسالة النبيلة للقرآن ليكون ذلك القصص هادياً للمؤمنين إلى طريق الصحيح ، والطريق المستقيم فالله تعالى يقول:﴿**نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ**﴾ [يوسف: 3] ، لذا كثرت الدراسات والبحوث التي تسعي إلى دراسة القصص القرآني لإبراز القواعد والمقاييس النقدية في القيم الأخلاقية والجمالية للقصة القرآنية التي يمكن استثمارها لقيام رؤية نقدية اسلامية تقوم على الخصائص المتميزة لقصص القرآن ولقصة يوسف خصوصيتها كونها استقلت بها سورة كاملة تعرض لنا حياة بطلها مع أبطال ثانويين يتحركون معه ولعل تخصيص سورة بأكملها لقصة واحدة يكشف عما تنطوي عليه من دلالات ينبغي الانتباه لها لما فيها من مواقف في غاية الإثارة تتصل بأهم الدوافع الإنسانية وهو دافع الانفلات الغريزي والحقد والحسد والظلم والعدوان وكل ذلك يظهر في شكل قصصي حافل بأنواع الإثارة الجمالية ، والجمالية القرآنية هي علم الجمال القرآني التي تعني بالكشف عن القيم المحمودة وأخرى مذمومة عبر الموضوعات القرآنية المتعددة وبتعبير أدق وقد أتى بالقصة مشاهد الدنيا والأخرة بأسلوب معجز وصور جمالية ذات تصوير أدبي دقيق مع ذكر الفضائل التي احتويتها السورة وهي فضيلة العفة فضله وغض البصر وفضيلة العفو والكرم وفضيلة الرحمة والصبر والابتلاء عند المحن وغيرها من الفضائل.

الكلمات المفتاحيـــة : يوسف، سبب النزول، الإصابة، المقاصد.

المقدمة:

الحمد لله، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين .

أما بعد:

يهدف هذا البحث إلى مفهوم القيم الأخلاقيـــة في سورة يوسف، وبيان ما ذكر بعض المفسرين عن مقاصد هذه السورة، مع تحليلات الباحث ومراجع أخرى، وأن هذه القصة من أحسن القصص، وأوضحها لما فيها من أنواع التنقلات من حال إلى

حال، ومن محنة إلى محنة ، ومن ذل إلى عز ، ومن خوف إلى أمن، ومن رق إلى ملك ، ومن فرقة وشتات إلى اجتماع وانضمام ، ومن حزن إلى سرور، وهناك قيم أخلاقية محمودة، وصفات أخرى مذمومة، فقصة يوسف عليه السلام في القرآن الكريم تمثل النموذج الواقعي الأسمى والمثل الأعلى للأداء الفني ذي الصبغة الإسلامية للقصة، والذي يتسم بصدقه الرائع، وواقعتيه السليمة النظيفة التي تفيض عفافا وطهراً، وتنفجر أدباً ونبلاً ولا عجب في ذلك فقد سماها القرآن الكريم أحسن القصص ونعتها بأنها آيات محكمات للسائلين فجاءت هذه الدراسة متكونة من مقدمة ومبحثين في كل مبحث أربع مطالب ثم الخلاصة ثم قائمة بالمصادر والمراجع لتبرز مظهراً من مظاهر الأعجاز التربوي للقرآن الكريم من خلال القصص القرآني حيث تعد قصة يوسف نموذجا جلياً لذلك.

تساؤلات الدراسة:

- ما المقاصد التي احتوتها سورة يوسف؟
- ما هي الفضائل الخلقية في سورة يوسف وأثرها على الفرد والمجتمع؟
- مناسبة هذه السورة لما مقابلها سورة (هود) ومبعدها سورة (الرعد)

أهداف الدراسة:

- تقوم هذه الدراسة إلى معرفة القيم الأخلاقية في سورة يوسف.
- توضح إلى معرفة مقاصد هذه السورة والتحلي بها.
- تسهم في معرفة الصفات المحمودة والأخرى المذمومة.
- تهدف إلى أن العظة والموعظة لأنها من أفضل القصص التي وردت في القرآن الكريم.
- تهدف إلي التحلي بالفضائل الخلقية .

أهمية الدراسة:

إن القصة القرآنية تقصد إلى الهداية ، بدعوة المتلقي إلى الالتزام بمجموعة من القيم العقدية والشرية ، غير أنها لها مقاصد أخرى منها المقصد التربوي الذي يضع قواعد قيمة للسلوك ، تعد قصة يوسف عليه الصلاة والسلام وأخوته نموذجاً جلياً لها سواء في القيم الخلقية السامية أو الصفات السلوكية المنحدرة منها.

المنهج المتبع:

اتبعت في دراستي هذه المنهج التحليلي الذي يعني بجمع المعلومات وتحليلها إن أمكن مع تلاقح مع بعض المناهج الأخرى كالمنهج الوصفي والمنهج التاريخي.

الدراسات السابقة:

لم أجد دراسة استقلت ببيان (القيم الأخلاقية في سورة يوسف) ، ما عدا ما تطرق إليه بعض المفسرين المعاصرين في سورة يوسف من استجلاء بعض القيم من أمثال: تفسير محمد متولي الشعراوي المعروف بتفسير الشعراوي المتوفي سنة 1412هـ سورة يوسف ومحمد راتب النابلسي تفسير القرآن العظيم تفسير المطول وعفاف علي النجار كتاب التفسير التحليلي لسورة يوسف1421 هـ بدراسة سورة يوسف، مكتبة الغد 2000م. جماليات التصوير في القرآن الكريم رسالة ماجستير كلية الآداب والفنون جامعة عبد الحميد بديس 2018 – 2019.

المبحث الأول- التعريف بسورة يوسف وسبب نزولها:

الاسم الوحيد لهذه السورة اسم سورة يوسف ،فقد ذكر ابن حجر في كتاب "الاصابة" في ترجمة رافع بن مالك الزرقي، عن ابن اسحاق أن أبا رافع بن مالك أول من قدم المدينة بسورة يوسف، يعني أن بايع النبي صلى الله عليه وسلم يوم العقبة. [1]

سورة يوسف سورة مكية[2] ، وقد قيل أن الآيات الثلاثة من أولها مدنية، وعدد آياتها مائة وإحدى عشر آية، وألف وستمائة كلمة، وسبعة آلاف ومائة وست وستون حرف"، وسورة يوسف هي السورة الثانية عشر في ترتيب المصحف.[3] ، وأما ترتيب نزولها فكانت السورة الثانية والخمسين، وكان نزولها بعد سورة هود وهذه السورة الكريمة نزلت على الراجح في الفترة التي أعقبت حادثة الإسراء والمعراج.

ووجه تسميتها بهذا الاسم ظاهر، لأنها مشتملة على قصة يوسف مع اخوته، ومع امرأة العزيز، ومع ملك مصر في ذلك الوقت. ولم يذكر اسم يوسف عليه السلام في غير هذه السورة، سوى مرتين إحداهما في قوله- تعالى- :(**وَوَهَبنا لَهُ إسحاقَ وَيَعقوبَ كُلًّا هَدَينا وَنوحًا هَدَينا مِن قَبلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ داوودَ وَسُلَيمانَ وَأَيّوبَ وَيوسُفَ وَموسى وَهارونَ وَكَذلِكَ نَجزِي المُحسِنينَ**) [الأنعام: 84][4] ، والثانية قوله تعالى:(**وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَاءَكُم بِهِۖ حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ اللَّهُ مِن بَعْدِهِ رَسُولًاۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ**)[غافر:34].

قبل التعرف على مقاصد هذه السورة وفضلها، من هو يوسف الصديق ومن اخوته، هو نبي من أنبياء الله تعالى والده النبي يعقوب عليه السلام، وجده النبي إسحاق عليه السلام ابن النبي إبراهيم عليه السلام، فقد كانوا آل بيت نبوة وصفاء سريرة.

كان النبي يوسف عليه السلام الابن الحادي عشر من أبناء يعقوب عليه السلام، وكان ليوسف شقيق واحد من بين اخوته من أباه وأمه وهو «بنيامين» وأمه «راحيل» بنت

«لأبان» وكان بقية اخوته من الأب، أم بعضهم «لليئة» بنت لابن وأم بعضهم « بلهة » جارية «لليئة» وهبتها ليئة لزوجها يعقوب عليه السلام.

أسمه : هو يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن ابراهيم – عليهم السلام جميعا – وقد بلغ هذا النسب المعلا في الشرف، ولم يجتمع لأحدٍ غيره ، فهو نبي ابن نبي ابن نبي ابن نبي[5]

فضلـــه: عن ابن عمر – رضى الله عنه- عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال الكريم ابن الكريم إبن الكريم إبن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم عليهم السلام. [6]

المطلب الأول ـ سبب نزولها:

روى الواحدي والطبري يزيد أحدهما على الآخر، عن سعد بن أبي وقاص أنه قال: "أنزل القرآن فتلاه رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصحابه زمانا، فقالوا "أي المسلمون بمكة" : يا رسول الله لو قصصت علينا[7] ، فأنزل الله تعالى: (**الر تِلكَ آياتُ الكِتابِ المُبين إنّا أَنزَلناهُ قُرآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُم تَعقِلونَ)** [يوسف: 1-2]، (نَحنُ نَقُصُّ عَلَيكَ أَحسَنَ القَصَصِ بِما أَوحَينا إِلَيكَ هذَا القُرآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبلِهِ لَمِنَ الغافِلينَ) [يوسف: 3]، وقد لقي النبي صلى الله عليه وسلم من آله أشد ما لقيه من بعداء كفار قومه، مثل عمه أبي لهب، والنضر بن الحارث، قال تعالى ﴿**لَقَد كانَ في يوسُفَ وَإِخوَتِهِ آياتٌ لِلسّائِلينَ**﴾.[يوسف: 7] وفيها العبرة بصبر الأنبياء على البلوى، وكيف تكون لهم العاقبة، بيان أن العاقبة للمتقين الصابرين رغم الابتلاءات والمحن.[8] ، ثم قال ابن الجوزي[9] رحمه الله سبب نزولها قولان:

أحدهما روي عن سعد بن أبي وقاص فقالوا: يا رسول الله لو حدثتنا فأنزل الله – تعالى- : ﴿**اللَّهُ نَزَّلَ أَحسَنَ الحَديثِ**﴾ [الزمر: 23]. [10] فقالوا يا رسول الله لو قصصت علينا، فأنزل: (**الر تِلكَ آياتُ الكِتابِ المُبينِ**) [يوسف: 1] إلى قوله: (**نَحنُ نَقُصُّ عَلَيكَ أَحسَنَ القَصَصِ**) [يوسف: 3].

والقول الثاني رواه الضحاك عن ابن عباس قال: سألت اليهود النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا: حدثنا عن أمر يعقوب وولده وشأن يوسف[11] فأنزل الله عز وجل: (**الر ۚ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ**).

المطلب الثانـــــي ـ مقاصد سورة يوسف:

تبيّن السورة " إعجاز القرآن الكريم" ، والاعتبار بقصص الرسل عليهم السلام، ومن مقاصد السورة أن الرؤيا الحسنة حق عندما يراها المسلم، وبيان أن الأمور لا تخرج عن إرادة الله، وتدل السورة على الكرامة والاعتزاز ورفض الذل ومخافة الله من الوقوع في أخطاء تغضب رب العالمين، ومن مقاصدها معاقبة الله تعالى للمكذبين والمعرضين، وتعطي القصة درسان لا تبقي في القلب شيئا من الدنيا، ولا تبقي في الحياة عبودية إلا لله الواحد القهار، وأن هذه السورة شفاء ورحمة للمؤمنين، فلا مانع من قراءة سورة يوسف للمهموم، أو الحزين لاحتوائها على أحسن القصص لقوله - تعالى - : ﴿**نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ** ﴾ وقراءة السورة تذكر القارئ بأن الله تعالى قادر على تحويل الحال إلى آخر، وقادر على تحويل الشخص من الذل إلى العز، والفرج بعد الضيق، والملك بعد الرق، والائتلاف بعد الشتات والضياع، ومن حزن إلى سرور، ومن إنكار إلى اقتران.[12] ، وصف القرآن الكريم بالإبانة لكل ما يوجب الهدى، بيان أن كثيرا من الناس لا يقفون على الآيات التي بثها سبحانه في هذا الكون بقصد العبرة والعظة، حيث أكثر الناس يمرون على هذه الآيات، وهم عنها غافلون، أو معرضون، غير مبالين بما تحمله من دلالات وعبر.[13] ، وذكر جانبا من فضائل القرآن الكريم وإعجازه لي أسلوب القصص وعرضها بيان قصة يوسف عليه السلام مع إخوته، وما لقيه في حياته، وما في ذلك من العبر من نواح مختلفة، وتحاسد القرابة فيما بينهم، ولطف الله بمن يصطفيه من عباده، والعبرة بحسن العواقب، والوفاء، والأمانة، والصدق، والتوبة، ومن مقاصدها أيضًا تسلية النبي - صلى الله عليه وسلم - بما لقيه يعقوب ويوسف عليهما السلام من الأذى من أهلهم.[14]

المطلب الثالث ـ مناسبة هذه السورة لما قبلها "سورة هود"

1- وجه مناسبتها التي قبلها "سورة هود" اشتمالها على شرح ما قساه بعض الأنبياء عليهم السلام من الأقارب، وفي الأولى (ذكر ما لقوا من الأجانب، وأيضا قد وقع فيما قبل) ﴿**فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ** ﴾[هود: 71] وقوله سبحانه: (**رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ** ﴾ [هود: 73]، ووقع هنا حال يعقوب مع أولاده، وما صارت إليه عاقبة أمرهم مما هو أقوى شاهد على الرحمة.[15]

2- المناسبة بينها وبين سورة هود أنها متممة لما فيها من قصص الرسل، والاستدلال بذلك على كون القرآن وحيا من عند الله دالة على رسالة محمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين.

3- أن سورة هود تتحدث عن قصص الرسل مع أقوامهم في تبليغ الدعوة، والمحاجة فيها وعاقبة من آمن منهم، ومن كذبوهم، لإنذار مشركي مكة ومن تبعهم من العرب.(16)

4- أما هذه السورة فهي قصة نبيّ تربّى في قوم غير قومه، قبل النبوة، وهو صغير السن حتى بلغ أشده واكتهل، فتنبأ وأرسل ودعا إلى دينه.

ومن أعظم ذلك شأنه مع أبيه وإخوته، آل بيت النبوة، وكان من حكمة الله أن يجمعها في سورة واحدة، ومن ثم كانت "سورة يوسف" أطول قصة في القرآن الكريم. (17)

المطلب الرابع ـ مناسبة هذه السورة لما بعدها "سورة الرعد" فهي:

1- أنه سبحانه جمع في سورة يوسف الآيات السماوية، والأرضية، في قوله تعالى: ﴿**وَكَأَيِّن مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ**﴾[يوسف: 105] ثم وصلها في سورة الرعد في عدة مواضع منها: أنه أشار في سورة يوسف إلى أدلة التوحيد بقوله تعالى: (**يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ**) [يوسف: 39] ، ثم فصل الأدلة هنا بإسهاب لم يذكر في سابقيها.

2- أنه ذكر في كلتا السورتين اخبار الماضين على رسلهم، وأنهم لقوا منهم ما لقوا، وأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر، وكتب الخزي على الكافرين والنصر لرسله والمؤمنين.(18)

3- جاء في آخر سورة يوسف وصف القرآن بقوله تعالى: (**لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَي ولاكن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**) [يوسف: 111].وفي أول سورة الرعد قوله تعالى: (**المر تِلكَ آياتُ الكِتابِ وَالَّذي أُنزِلَ إِلَيكَ مِن رَبِّكَ الحَقُّ وَلكِنَّ أَكثَرَ النّاسِ لا يُؤمِنون**) [الرعد: 1]. (19)

المبحث الثانـــي الفضائل الخلقية في سورة يوسف

المطلب الأول ـ فضيلة العفـــة ـ

بعد تتبع المعاجم العربية إن معني كلمة (عفف) ترجع إلى أصلين، وهما: الكفّ عن شيءٍ، بل يمكن أن تندرج جميع المعاني تحت الأصل الثاني؛ لأن الذي يكُفُّ عن أمرٍ فقد قلّ ذلك الأمر عنده (20) ومن هذه المعاني ما نقله الخليل بن أحمد فقال:

"العِفَّة الكفّ عمَّا لا يحلُّ وأعففته عن كذا: كففته، وامرأةٌ عَفة: بيّنة العفاف) ".21 (وما ذهب إليه ابن منظور بقوله الكف عما لا لا يحل ويجْمُل، عفّ عن المحارم والأطماع الدنية يعف عفة وعفا وعقافا وعفافة، فهو عفيف وعفٌّ، أي: كف وتعفف واستعف وأعفه الله) 22(وفي التنزيل :التعريف اللغوي للعفة :هو البعد عن المنكرات، وما تميل إليه النفس وتهواه، وإلى ما نهى الشارع الحكيم عنه من الأمور الدنية بطلب العفة ومجاهدة النفس والصبر عن المحارم وما لا يحل.

العفة في الاصطلاح: ما نقله الراغب الأصفهاني قوله: " العفة: حصول حالة للنفس تمتنع بها عن غلبة الشهوة، والمتعفف هو المتعاطي لذلك بضرب من الممارسة والقهر، وأصله: الاقتصار على تناول الشيء القليل الجاري مجرى العفافة ؤ والعفة أي: البقية من الشيء، أو مجرى العفعف، وهو ثمر الأراك، والاستعفاف: طلب العفة. قال تعالى: ﴿ **مَن كانَ غَنِيًّا فَلْيَستَعفِف**﴾ النساء: 6]، وقال - تعالى : ﴿**وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ** ﴾ النور: 33] (23)،

يتبين مما سبق أن الراغب لم يقيد الشهوة بكونها بطنية أو فرجية، وظاهر هذا الإطلاق أن العفة تعم من هذه الناحية. كما يلاحظ أنه يربط المعنى الإصلاحي بالأصل الأول في اللغة وهو: (قلة في شيء). ما بينه الجرجاني بقوله: "العفة: هيئة للقوة الشهوية متوسطة بين الفجور، الذي هو إفراط هذه القوة، والخمود الذي هو تفريطها، فالعفيف من يباشر الأمور على وفق الشرع والمروءة(24)

المطلب الثانـــي ـ عفة يوسف وأثرها الإيجابي في الابتعاد عن مواطن استثارة الشهوة-

إن الحديث عن عفة يوسف عليه السلام وأثرها الإيجابي في ضبط الشهوة الجنسية كما تبينها السورة، هو الحديث عن مقومات الخير للبشرية لتحقيق العفاف الذي فيه سعادة البشرية جمعاء، فيوسف عليه السلام هو رمز الطهر والعفة وضبط الغريزة، فقد ذكره سبحانه وتعالى في كتابه العزيز أنموذجًا صادقًا، إذ وصل عليه السلام بإخلاصه مع ربه بمجاهدة نفسه إلى أعلى معارج العفة، فكانت نتائج ثباته على الطهر والعفة أن صرف الله عنه السوء والفحشاء وجميع أنواع الفجور، قال - تعالى- : ﴿ **كَذَلِكَ لِنَصرِفَ عَنهُ السّوءَ وَالفَحشاءَ إِنَّهُ مِن عِبادِنَا المُخلَصينَ)**]يوسف: 24

فأعطى يوسف عليه السلام بإخلاصه الأسوة الحسنة للمؤمنين من الرجال والنساء، والمثل العليا في العفة والصيانة، وذلك بامتناعه عندما راودته امرأة العزيز عن نفسه، وأحبّته حبا شديدًا أحسنه وجماله، لدرجة أنها دعته لنفسها أن يواقعها ، وفعلت في

مراودتها له فعل المخادع، لتخرجه عما هو فيه إلى ما تطلبه. قال تعالى - : ﴿**وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الأَبوابَ وَقالَت هَيتَ لَكَ قالَ مَعاذَ اللَّهِ**﴾] يوسف: 23[تشير الآية في قوله تعالى : **وَاستَبَقَا البابَ وَقَدَّت قَميصَهُ مِن دُبُرٍ**] ..يوسف: 25]، إلى الجهد المبذول من الطرفين، فكل منهما يريد السبق، فيوسف عليه السلام يريد الخروج وفتح الباب، وامرأة العزيز تريد المنع وإبقاء الباب مغلقًا، يقول أبو السعود: "وإسناد السبق في ضمن الاستباق إليها مع أن مرادَها مجردُ منع يوسف، وهذا لا يوجب الانتهاء إلى الباب لأنها لما رأته يسرع إلى الباب ليتخلص منها أسرعت هي – أيضًا- لتسبقه إليه وتمنعه عن الفتح والخروج، أو عبر عن إسراعها إثره بذلك مبالغة)."(25)

ولما كانت عفّة يوسف - عليه السلام - عفة مستوفية كل شروط العفة وأركانها كانت من أعظم أمثلة العفّة في تاريخ الإنسان، ففي يوسف الرجولة والشباب والدوافع القوية، وفي امرأة العزيز الإثارة بكل قواها وجمال ومنصب وخلوة تامة، وتهديد إن لم يستجب لرغبتها، ومع استيفاء كل هذه العوامل القوية تبرز فضيلة العفّة فى يوسف عليه السلام، فيضبط نفسه بصبر كبير ويقاوم الدوافع والمغريات بإصرار وعزيمة قوية ترفعاً عن الخيانة، وطلباً لمرضاة الله عز وجل، وينتصر خُلقه العظيم مع معركة الدوافع والمغريات والتهديدات. وفي سورة يوسف تبرز عفة يوسف عليه السلام مع امرأة العزيز حيث يعطي أروع عرض يبرز الساحة النفسية عنده، وساحة الإثارة بكل ملابساتها، وقوة الضبط الخلقي الذي جعله يكف عمّا لا يحل له، ويعطى أعظم أمثلة العفة والعفاف قال تعالى: ﴿ **وَراوَدَتهُ الَّتي هُوَ في بَيتِها عَن نَفسِهِ وَغَلَّقَتِ الأَبوابَ وَقالَت هَيتَ لَكَ قالَ مَعاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبّي أَحسَنَ مَثوايَ إِنَّهُ لا يُفلِحُ الظّالِمون**)يوسف.

المطلب الثالث ـ فضيلة العفو والكـــرم

العفو هي التعامل مع الخلق بلطف وإحسان، وهي من خصال العظام، وأصحاب المعالي الكرام، تحفز الشخص للإحسان للآخرين، وبذل الندى لهم بلا مقابل، والترفع عن حظوظ النفس في الانتقام، وهنا تظهر شهامة يوسف وعزة يوسف وكرامة أصله، فلم يشترط أن يخرجه الملك من السجن، ويُطلق سراحه حتى يعبر له الرؤيا، بل انطلق يفسرها لهم تفسيراً واقعياً دقيقاً، لأنه شعر أن البلاد مقبلة على مخاطر، وسيقع فيها قحط وحدب، قد يودي بحياة البشر. (26) لقد دخل يوسف - عليه السلام - السجن مظلوماً من السلطة العليا في الدولة، مع ظهور براءته ظهوراً بيناً جلياً، إنه لم يحمّل المجتمع ظلم السلطة العليا له، ولم يكن يفكر في نفسه، بل تسامى عن حقه الشخصي في الخروج من السجن، وقدم مصلحة الأمة التي يعيش فيها، وأحسنت إليه سنين، إن

هذه الرحمة بالمجتمع نابعة بما يملكه من رحمة واسعة في قلبه، تسمو به لرحمة الآخرين، وتحسن إليهم رغم الإساءة التي تلقاها وهو درس عظيم لمن يعيش في مجتمعات غير إسلامية أن يكون رحيماً بهم، أخذاً بهم إلى بر الأمان والسعادة والحياة الهنيئة، حتى ولو لم يؤمنوا بالإسلام ديناً؛ لأنه دين الرحمة لا دين الإكراه.

وإنا لنرى، إن يوسف لم يكن أسير انفعالاته، فقد راح يقدم الجواب عن طيب خاطر، ولم يحاول استغلال الموقف.

والصورة الأخرى في الرحمة والعفو في الآيات الكريمة حينما قال الله تعالى : ﴿**قالوا نَفقِدُ صُواعَ المَلِكِ وَلِمَن جاءَ بِهِ حِملُ بَعيرٍ وَأَنا بِهِ زَعيمٌ** ﴾يوسف: 72[، فمن الأساليب التربوية في صناعة الشخصية: الرحمة بالمخطئ من خلال إعطائه فرصة ليعود عن خطئه فيوسف عليه السلام لم يعدهم بالعفو فقط عن الجاني، إذا رد الصواع، بل وعدهم بإعطائهم حمل بعير بدلاً منه، فليس الغرض اعتراف الجاني، ولكن المهم إصلاح ما أفسده، وتشجيعه على التخلص من الذنب.(27) ،ورغم ما فعله إخوته به من كيد وايذاء إلا أن نبي الله يوسف كان متسامحاً معهم وعفا عما اقترفوه في حقه فقال لهم عندما جاءوا معتذرين ﴿ **قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ**﴾] يوسف: 92.[

و من الرحمة والعفو المحبوبة بكاء العين وحزن القلب، فهو دليل على رقة المشاعر، ورهافة الأحاسيس، ﴿ **وَتَوَلَّى عَنهُم وَقالَ يا أَسَفى عَلى يوسُفَ وَابيَضَّت عَيناهُ مِنَ الحُزنِ فَهُوَ كَظيمٌ**﴾ **[يوسف: 84]**، وهي مشاعر الأب الرحيم بأبنائه، المشتاق للقائهم، وضمهم بين جوانحه، وسماع عذب حديثهم.

الكرم صفة الأنبياء والعظماء، تستر العيوب، وتكشف الكروب، وترضي علام الغيوب، ولقد تجلى كرم عزيز مصر حينما اشترى يوسف -عليه السلام-، وجعله مقرباً من نفسه كقرب الابن من أبيه، واحتفى به في بيته، فأنزله في مكانة كبيرة. يقول الله تعالى- : **وَقالَ الَّذِي اشتَراهُ مِن مِصرَ لِامرَأَتِهِ أَكرِمي مَثواهُ عَسى أَن يَنفَعَنا أَو نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذلِكَ مَكَّنّا لِيوسُفَ فِي الأَرضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأويلِ الأَحاديثِ وَاللَّهُ غالِبٌ عَلى أَمرِهِ وَلكِنَّ أَكثَرَ النّاسِ لا يَعلَمونَ**] يوسف: 21[، وقال تعالى ﴿ **وَلَمّا جَهَّزَهُم بِجَهازِهِم قالَ ائتوني بِأَخٍ لَكُم مِن أَبيكُم أَلا تَرَونَ أَنّي أوفِي الكَيلَ وَأَنا خَيرُ المُنزِلينَ**) **يوسف: 59** ، لقد استمر كرم يوسف -عليه السلام- بعد توليه خزائن مصر، فأحسن أيما إحسان إلى من أساء إليه أشد الإمامة، فتسامى عن إساءتهم، وتعالى عن معاقبتهم عن حريتهم بحقه، إنه كرم الأخلاق في أبهى صورة.

إن من يعيش في بيئة متوترة مشحونة بالمنازعات والأحقاد والمكائد سيصعب عليه أن ينشأ النشأة هادئة متزنة، وتكون شخصيته هادئة مطمئنة، فهذه بيئة ليس يسود فيها الكرم فضلاً عن أن يترعرع الشخص على الكرم المادي والكرم المعنوي، بتحمل الناس، والعفو عن المسيئين، وغفران زلاتهم، والتجاوز عنهم بأريحية وسمو نفس.

المطلب الرابع ـ فضيلة غض البصر :

أولا ـ إن الســـــر في تقديم غض البصر على حفظ الفرج في قوله تعالى :قُل **لِلمُؤمِنينَ يَغُضّوا مِن أَبصارِهِم وَيَحفَظوا فُروجَهُم ذلِكَ أَزكى لَهُم إِنَّ اللَّهَ خَبيرٌ بِما يَصنَعونَ]** النور:30]، وذلك: " لأن النظر بريد الزنا، ورائد الفجور." (28)، ولذلك قرنت عفتها بعفة الفرج. وفي قصة يوسف عليه السلام دليل واضح على أن النظرة الشهوانية من امرأة العزيز، واختلاطها مع يوسف زاد السبب في طلب الفاحشة، قال تعالى :وَراوَدَتهُ الَّتي هُوَ في بَيتِها عَن نَفسِهِ وَغَلَّقَتِ الأَبوابَ وَقالَت هَيتَ لَكَ]يوسف:23]، وفي شأن النسوة اللاتي سمعن خبر شغف امرأة العزيز بيوسف، كما جاء في قوله تعالى﴿:**وَقالَ نِسوَةٌ فِي المَدينَةِ امرَأَتُ العَزيزِ تُراوِدُ فَتاها عَن نَفسِهِ قَد شَغَفَها حُبًّا إِنّا لَنَراها في ضَلالٍ مُبينٍ**] يوسف:30]، وذلك لأنهن لم يرينه ولم يختلطن به، فلما أطلقن العنان بأبصارهن شُغِفن وفُتن، وفي الآيتين السابقتين دليل على خطر إطلاق البصر.

إن الحق سبحانه يأمر المؤمنين أن يغضوا من أبصارهم عما حرم عليهم، ولا ينظروا إلا لما أباح لهم الشرع، فإذا اتفق أن وقع النظر على محرم من غير قصد فليصرف بصره سريعًا. فالمسلم ليس له إلا النظرة الأولى، وهي نظرة الفجأة. وما ورد في السنة بعدم تتبع النظرة، لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي -رضي الله عنه- بقوله: **" يا علي لا تتبع النظر النظرة، فإن لك الأولى وليس لك الآخرة**»، ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: "فجعل سبحانه غض البصر، وحفظ الفرج، هو أزكى للنفس، وبيّن أن ترك الفواحش من زكاة النفوس، وزكاة النفوس تتضمن زوال جميع الشرور من الفواحش"(29)، ويرى الباحث في حفظ الفرج أمرين:

الأول: في سترها عن النظر إليها فلا تقع عليها الأبصار.

الثاني: في حفظها عن الوقوع في الفاحشة.

وإن المتأمل في حديث النبي صلى الله عليه وسلم : عن ابن عباس رضي الله عنه قال: ما رأيت شيئًا أشبه باللمم مما قال أبو هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

«إن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنـا، أدرك ذلـك لا محالـة، فزنـى العين النظر، وزنا اللسان النطق، والنفس تمنى وتشتهي، والفرج يصدق ذلك ويكذبه.(30)

الخاتمـــــــــــــة :

1ـ التعامل مع الأشقاء بالعدل، فمن أهم أسباب مكر أخوة يوسف هو حـب أبيـه الشـديد له وتفضيله عليهم.

2ـ من الجائز للمسلم ألا يتحدث عن الـنعم مخافـة الحسـد مـن الآخـرين، وذلـك عنـدما طلب سيدنا يعقوب عليه السلام بعدم قص الرؤية على إخوته حتى لا يحسدونه.

3ـ أنه تعالى ينصر الحق دوما وقد ظهر هذا جليا في قصـة المـراودة حينمـا اعترفـت امرأة العزيز بافترائها على سيدنا يوسف عليه السلام وأن الحق يظهر ولو بعد حين.

4ـ أن الشكوى لا تكون إلا لله سبحانه فقد كان سيدنا يعقوب لا يشكو فقدان ابنه إلا 6إن رحمة الله وسعت كل شـيء أراد إخـوة سـيدنا يوسـف أن يقتلـوه (فلـم يمـت)، ثـم أرادوا أن يمحى أثره (فارتفع شأنه)، ثم بيع ليكون مملوكا (فأصبح ملكا)، ثم أرادوا أن يمحو محبته من قلب أبيه (فازدادت)، فلا تقلق من تدابير البشـر فـإرادة الله فـوق إرادة الكل، فعندما كان يوسف في السـجن، كـان يوسـف الأحسـن بشـهادتهم "إنـا نـراك مـن المحسنين" لكن الله أخرجهم قبله، وظل هو رغم كل مميزاته - بعدهم في السجن بضع سنين الأول خرج ليصبح (خادماً)، والثاني خرج (ليقتـل) ويوسـف انتظـر كثيـراً لكـن خرج ليصبح (عزيز مصر)، ليلاقي والديه وليفرح حد الاكتفاء .

بيان تضارب المصالح

يُقر المؤلف بعدم وجود أي تضارب مالي أو علاقات شخصية معروفة قد تؤثر على العمـل المـذكور في هذه الورقة.

الهوامـــــــــــش :

1-الطاهر ابن عاشور ، كتاب التحرير والتنوير ، دار النشر التونسية-تونس،ج12، 1984م، ص 197.
2-أحمد مصطفي المراغي ، تفسير المراغي،مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط1، ج12 ، 1946م، ص111.
3-امام علاء الدين علي بن محمد ، تفسير الخازن، بيروت، دار الكتب العلمية، 1415ه-1990م، ج3، ص343.
4-محمد سيد طنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، القاهرة، دار السعادة، د.ت، ج7، ص299.
5-إبن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والامم ، ج1، ص310. دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1، 1992م.
6- صحيح البخاري، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسننه وايامه ، لأبي عبدالله محمد بن اسماعيل البخاري ، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قوله تعالى (لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِّلسَّائِلِينَ) يوسف 7، تحقيق محمد بن زهير الناصر، دار طوق النجاة، ط1، ج4، 1432هـ، ص151.
7- التحرير والتنوير ، محمد الطاهر بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، المتوفى 1393هـ - 1973م، عدد الأجزاء 30، الدار النشر التونسية، تونس، ج12 ، ص 198.
8 - تفسير الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3، ج18 ، ص417.
9 - مفاتيح الغيب للرازي ، ج18، ص 416، التفسير الوسيط لمجموعة من علماء الأزهر (383/4)، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، ط1، 1393هـ - 1973م.
10- تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن، أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم طفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط2، 1384هـ- 1964م.
11- المحرر الوجيز ، أبو محمد عبدالحق بن غالب، بن عبدالرحمن بن تمام، بن عطية الأندلسي ، المحاربي (ت542هـ).
12- الطاهر بن عاشور ، التحرير والتنوير، دار النشر التونسية ، تونس، ج12، ص201.
13- المقاصد العقدية في القصص القرآني قضايا ونماذج ، ابعاد ودلالات الدكتور الزايدي الطويل ، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان
14- التحرير والتنوير ج1 ، ص198
15- الألوسي روح المعاني، محمد شكري أبو الفضل، تحقيق: عبدالباري عطيه، دار احياء التراث العربي، بيروت، 1415ه/1994م ، ط1،ج12 ،ص175.
16- احمد مصطفي المراغي ، تفسير المراغي، مكتبة مصطفى البابي، القاهرة، مصر، ج12، ص111.
17- المصدر السابق، ص112.
18- البرهان في علوم القرآن، العلامة الزركشي، تحق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، 53/1.
19 أحمد مصطفي المراغي، مرجع سبق ذكره.
20 العين، للخليل بن أحمد (ج 1 ص 92) وجمهرة اللغة، لابن دريد (ج 1 ص 155)، وتهذيب اللغة للأزهري، (ج1ص 85)؛ والصحاح للجوهري (ج 4 ص 1405) ومقاييس اللغة، لابن فارس

(ج 4 ص (3)، والمحكم، لابن سيده (ج1 ص103)؛ ولسان العرب، لابن منظور (ج9 ص (253) والقاموس للفيروزآبادي (ج 1 ص 838).
(21) الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد، كتاب العين (ج 1 ص 92)
(22) ابن منظور، لسان العرب تحقيق عبد الله على الكبير، دار النشر : دار المعارف، القاهرة، ج 4، ص 315.
(23) الاصفهاني المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي. ط1. 1412هـ. دمشق دار القلم. ص573.
(24) الجرجاني، علي بن محمد بن علي، 1403هـ - 1983م، التعريفات، تحقيق: جماعة من العلماء، ط 1. دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ج 1، ص 151
(25)العمادي محمد أبو السعود ، تفسير أبي سعود، بيروت: دار إحياء التراث العربي. ص 267.
(26)محمد علي الصابوني، التفسير الواضح الميسر، ص586.
الفخر الرازي، مفاتيح الغيب التفسير الكبير) ، ج 23 ص 363.
(27)تفسير سورة يوسف. (ص75) من كتاب بيان المعاني المؤلفة حويش المتوفى 1398 ه
(28) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب التفسير الكبير) ، ج 23 ص 363.
(29) أبو داود سليمان بن الأشعث، سنن أبي داود باب ما يؤمر به من غض البصر، صححه الألباني: وقال حديث حسن صحيح، صحيح سنن أبي داود، ج 2، ص 246، رقم الحديث: 2149.
(30) ابن حبان، محمد بن حبان كتاب صحيح ابن حبان باب ذكر وصف زنى العين واللسان على ابن آدم.. تحقيق: شعيب الأرنؤوط بيروت مؤسسة الرسالة ط2، 1414هـ (10/267) صححه الألباني رقم الحديث (4420) و (4421) و(4423).